الوظيّفةُ النحويّة والدلاليّة
لحرف الاستفهام (هل) في القرآن الكريم

م . م باسم شعلان خضير

مديرية تربية النجف الاشرف

The grammatical and semantic function of the interrogative letter 'is' (هل) in the Holy Quran

Asst lect. Basim Shaalan Khudair

ملخص البحث

يسلطُ البحث الضوء على حرف الاستفهام(هل) في القرآن الكريم فيسعى إلى مقاربته في الوظيفة النحوية والدلالية مبيّنا أهمّ أغراضه ومعانيه، مشيرا إلى مواطن تموضعه في النص القرآني، وتقديم مسحة إحصائية بذلك، مستشهدا بتشكيلات (هل) على المستوى التركيبي والدلالي وتقديم نماذج مختارة لتلك التشكيلات، سالكا في ذلك المنهج الوصفي، وتوصّل البحث إلى نتائج عدة ،من أبرزها أن الغالب على حرف الاستفهام(هل) في النص المبارك، هو خروجه عن أصل وضعه إلى مستوى بلاغي يؤدّي فيه معاني بلاغية مجازية يحدّدها السياق

Abstract

The research aims to shed light on the interrogative letter (Is) in the Holy Qur'an. It seeks to approach it in the grammatical and semantic function، indicating its most important purposes and meanings، pointing to its position in the Qur'anic text and providing a statistical tinge with that، citing forms (Is) at the structural and semantic level and presenting models. After a selection of those formations، following that descriptive approach، the research reached several results، the most prominent of which is that the question letter (is) in the blessed text is predominant in its departure from the origin of its position to a rhetorical level in which it leads to metaphorical rhetorical meanings determined by the context.

مقدمة

بعد الحمد و الثناء ومزيد من الشكر لآلاء الله تعالى وبعد الصلاة والسلام على النبي المختار وآله الاطهار.

وبعد.....

إن اللغة نظام قائم بحدّ ذاته، مقنّن،له قواعده، وطبيعته الخاصة التي تختلف باختلاف اللغات، ولكل لغة ميزاتها وخصائصها، ولعل أهمّ مايميّز اللغة العربية التنوّع في الأساليب اللغوية، وحيوات تلك الأساليب خارج أصول الوضع، الأمر الذي يمنحها مرونة، وقدرة مهولة على التعبير عن دلالات متنوّعة على مستويات النص كافة، ومن تلك الأساليب أسلوب الاستفهام الذي يحتلّ مساحة قرآنية واسعة، عبر أدواته المتنوّعة، وفي هذه الدراسة ارتأى البحث أن يتناول حرف الاستفهام (هل) في الخطاب القرآني ودراستها من منظور وظيفي نحوي ودلالي في آن، ويسلّط البحث الضوء على (هل) في القرآن الكريم فيسعى إلى مقاربتها مقاربة وظيفية نحوية ودلالية.

ومحاولة الكشف عن معاني هل وأغراضها، ثم تموضعها في القرآن الكريم، وتقديم مسحة إحصائيّة عنها.

كما يهدف البحث إلى توضيح أنماط (هل) في القرآن الكريم على المستوى التركيبيّ، وتقديم أمثلة لتلك الأنماط (هل والجملة الاسمية - هل والجملة الفعلية- هل و أم).

كما يهدف البحث إلى دراسة (هل) في القرآن الكريم على المستوى الدلاليّ، وذلك من خلال تقديم أمثلة ودراستها لكي تتبيّن الدلالة الوضعيّة لـ (هل) في تلك الأمثلة، ومن ثمّ التعرّف على الانزياح الدلاليّ لـ (هل) والمعاني والأغراض المجازية التي يؤدّيها هذا الانزياح، ويُتّبعُ في ذلك المنهج الوصفي.

والله ولي التوفيق.

المبحث الأول: هل وتموضعها في القرآن الكريم، مسحة إحصائيّة:

١- هل معانيها وأغراضها:

إن (هل)هي إحدى أدوات أسلوب الاستفهام و الاستفهام كما يحدّده الجرجاني هو ((الاستخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك))[١].

تنقسم أدوات الاستفهام على أحرف وأسماء، فيما تعدّ (هل) حرف استفهام.[٢]

وتفيد هل فضلا عن معنى الاستفهام معنى(قد)[٣] ومثال ورودها

بمعنى (قد) قول البارئ عزّ وجل: ((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا))[٤].

وهل هنا جاءت بمعنى (قد) فالمعنى المراد بها هنا هو ((قد أتى على التقرير، والتقريب جميعاً))[٥].

كما تفيد (هل) زيادة إلى (قد) معنى النفي، بيد ((أن النفي بهل يختلف عن النفي بحروف النفي الصريحة في نقاط أهمّها))[٦]

١- إن النفي بـ (هل) ليس نفياً محضاً.

٢- إن النفي بـ (هل) استفهام قد أشرب معنى النفي.

٣- قد يضاف إلى معنى النفي الذي تؤدّيه هل معاني الإنكار والتعجّب.

٤- إن النفي الصريح هو إقرار من المخبر.

٥- النفي بطريق الاستفهام منه الاستفهام بـ (هل) يراد به جعل المخاطب شريكاً في الأمر، ليبدو وكأن المتلقّي مدعوّ ليقدّم إجابة

٦- إنّ دلالة الاستفهام في أصل الوضع تفيد طلب العلم بالشيء والاستخبار، غير أن الاستفهام عامة ومنه الاستفهام بـ (هل) قد يخرج عن أصل وضعه ليؤدّي أغراضاً بلاغية أو مجازية تفهم من السياق، ويحدّدها المتكلم قبلاً؛ فيجري الاستفهام عن شيء مع العلم به، لإصابة تلك الغايات والمقاصد الدلالية على تنوّعها بتنوّع السياقات النصية،((ولعلّ أهمّ المعاني البلاغية التي يؤدّيها الاستفهام: النفي، والإنكار، والتوبيخ، والتقرير، والتعظيم، والتحقير، والتشويق، والتعجّب والأمر، والاستبطاء، والتمنّي)).[٧]

ويمكن للمتلقّي القبض على تلك المعاني أو الأغراض البلاغية التي يؤدّيها الاستفهام في سياقات نصية معيّنة، بمساعدة قرائن مقالية ومقامية، تقوده إلى الدلالة المقصودة التي يريدها المتكلم عبر انزياح الاستفهام عن أصل وضعه.

٢- مواضع (هل) في الكتاب العزيز:

لقد أتت (هل) في آيات الكتاب في المقامات الآتية:

• سورة البقرة:

وردت هل في موضعين: الآيات (٢١٠) و (٢٤٦).

• سورة آل عمران:

موضع واحد الآية (١٥٤).

• سورة المائدة:

أربعة مواضع: الآيات (٥٩)، (٦٠)، (٩١)، (١١٢).

• سورة الأنعام:

أربعة مواضع: الآيات (٤٧)، (٥٠)، (١٤٧)،(١٥٨).

• سورة الأعراف:

أربعة مواضع: الآيات (٤٤)، مرتان في الآية (٥٣)، (١٤٧).

• سورة التوبة:

مرتان (٥٢)، (١٢٧).

• سورة يونس:

أربعة مواضع: الآيات (٣٤)، (٣٥)، (٥٢)،(١٠٢).

• سورة هود:

مرتان:(١٤)،(٢٤).

• سورة يوسف:

مرتان: (٦٤)،(٨٩).

• سورة الرعد:

مرتان في الآية (١٦).

• سورة إبراهيم:

مرة واحدة (٢١).

• سورة النحل:

أربعة مواضع: (٣٣)،(٣٥)،(٧٥)،(٧٦).

• سورة الإسراء:

مرة واحدة (٩٣).

• سورة الكهف:

ثلاثة مواضع: (٦٦)،(٩٤)،(١٠٣).

• سورة مريم:

مرتان:(٦٥)،(٩٨).

• سورة طه:

ثلاثة مواضع: (٩)،(٤٠)،(١٢٠).

• سورة الأنبياء:

ثلاثة مواضع: (٣)،(٨٠)،(١٠٨).

• سورة الحج:

مرة واحدة (١٥).

• سورة الشعراء:

خمسة مواضع: (٣٩)،(٧٢)،(٩٣)،(٢٠٣)،(٢٢١).

• سورة النمل:

مرة واحدة (٩٠).

• سورة القصص:

مرة واحدة (١٢).

• سورة الروم:

مرتان (٢٨)،(٤٠).

• سورة سبأ:

ثلاثة مواضع: (٧)،(١٧)،(٣٣).

• سورة فاطر:

مرتان (٣)،(٤٣).

• سورة الصافات:

مرة واحدة (٥٤).

• سورة ص:

مرة واحدة (٢١).

• سورة الزمر:

أربعة مواضع: (٩)،(٢٩)،(٣٨).

• سورة غافر:

مرتان (٤٠)،(٤٧).

• سورة الشورى:

مرة واحدة (٤٤).

• سورة الزخرف:

مرة واحدة (٦٦).

• سورة الأحقاف:

مرة واحدة (٣٥).

• سورة محمد:

مرتان (١٨)،(٢٢).

• سورة ق:

ثلاثة مواضع: مرتان في الآية (٣٠)،(٣٦).

• سورة الذاريات:

مرة واحدة (٢٤).

• سورة القمر:

ستة مواضع

(١٥)،(١٧)،(٢٢)،(٣٢)،(٤٠)،(٥١).

• سورة الرحمن:

مرة واحدة(٦٠).

• سورة الصف:

مرة واحدة (١٠).

• سورة الملك:

مرة واحدة (٣).

• سورة الحاقة:

مرة واحدة (٨).

• سورة الإنسان:

مرة واحدة (١).

• سورة النازعات:

مرتان (١٥)،(١٨).

• سورة المطففين:

مرة واحدة (٣٦).

• سورة البروج:

مرة واحدة (١٧).

• سورة الغاشية:

مرة واحدة (١).

• سورة الفجر:

مرة واحدة الآية (٥)

المجموع الكلي: ثلاث وتسعون مرة.

المبحث الثاني: أنماط (هل) في القرآن الكريم على المستوى التركيبيّ:

١- هل والجملة الاسمية:

ترتكز الجملة الاسمية على العلاقة الإسنادية التي تربط المبتدأ والخبر (المسند إليه_ المسند) إذ أفادت الجملة الاسمية معنى الثبوت والاستقرار بصورة عامة.

وكثيراً ما جاءت (هل) في القرآن الكريم مع الجملة الاسمية لأداء معنى هو بلاغي مجازي في غالب الأحيان، من ذاك اخترنا قوله تعالى من سورة إبراهيم:

((وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ))[٨].

إذ كان النمط التركيبي لـ (هل) في الآية الكريمة كما يلي:

هل + جملة اسمية

⬇ ⬇

هل مبتدأ + خبر + تتمة الجملة

⬇

أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء

ولأن إبراز ما سيتجدّد في معرض ((الثابت أدلّ على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله))[٩] كان تركيب (هل) مع الجملة الاسمية في هذا المقام أكثر قدرة على ترسيخ الدلالة، وتعميقها في ذهن المتلقي. فالاستفهام بـ(هل) في هذا الموضع خرج عن الدلالة الوضعية للاستفهام ليصيب أغراضاً مجازية يمكن تبيّنها بالاستعانة بالقرائن فالاستفهام الإنكاري بها في السياق النصي للآية الكريمة أفاد قصدية التقريع و التوبيخ: ((من وبّخ أي لام وأنّب، يقال وبخّت فلاناً لسوء فعله توبيخاً))[١٠] كما أفاد معنى النفي أي لستم مغنّين عنا من عذاب الله من شيء، مشوباً بالتعجب والإنكار.

٢- هل والجملة الفعلية:

من أنماط (هل) في القرآن الكريم على المستوى التركيبي زيادة على تركيبها مع الجملة الاسمية تركيبها مع الجملة الفعلية، ومن ذلك اخترنا قوله تعالى:((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ))[١١] إذ كان النمط التركيبي لـ (هل) في الآية الكريمة كما يلي:

هل + جملة فعلية

⬇ ⬇

هل فعل + فاعل + تتمة الجملة

⬇

هل يُهلَكُ إلا القوم الفاسقون

أدى الاستفهام بـ (هل) في نمطه التركيبي الذي صهره مع الجملة الفعلية معاني بلاغية مجازية انزاحت به بعيداً عن المعنى الوضعي للاستفهام، ولأن الفعل المضارع يفيد معنى الاستمرارية، منح

التركيب معنى الدوام والاستمرارية والحركية؛ ففعل إهلاك الفاسقين هو فعل مستمرّ ودائم وممتدّ باتجاه المستقبل.

إن الاستفهام الإنكاريّ في قوله تعالى ((هل يهلك إلاّ القوم الفاسقون)) خرج عن المعنى الوضعي للاستفهام الذي يحصره في إطار طلب العلم بالشيء والاستخبار إلى مستوى بلاغي أعلى وأعمق يؤدّي فيه الاستفهام معاني متعدّدة تفهم من السياق ؛ فالله عز وجل وهو السائل عالم بكل شيء ويعلم إجابة السؤال ممّا يجعله استفهاماً استنكارياً في المقام الأول، ثم يتشعّب إلى معان أُخر يأتي في طليعتها النفي؛ فالنفي مقصود (لايهلك إلاّ القوم الفاسقون)، كما يحمل الاستفهام معنى آخر يتمثّل في التهديد والوعيد الذي يفهم من السياق؛ فالله عز وجل يتوعّد الفاسقين بالهلاك شأنهم شأن الفاسقين قبلهم الذين دأب الله تعالى على إهلاكهم على مرّ الأزمنة، والمصير عينه بانتظار الفاسقين المقصودين في الخطاب الإلهي، ويمتدّ ليشمل من سيأتي بعدهم مستقبلاً من الفاسقين.

٣- هل و أم:

إنّ (أم) عندما تأتي بعد(هل) تكون منقطعة، من ذلك ورودها في قول الرسول (ص) لجابر(رض): ((هل تزوجت بكراً أم ثيّباً؟ حيث جاءت (أم) هنا منقطعة للإضراب مع استفهام آخر، والمعنى المراد: بل هل تزوجت ثيباً)).[١٢]

والجدير بالذكر أن ((أم) المنقطعة لا يبارحها الإضراب، فحيناً تكون للإضراب مجرّداً، وحيناً تشتمل مع ذلك على استفهام إنكاري أو طلبي))[١٣]

من النمط التركيبي لـ (هل) في القرآن الكريم ورودها مع أم، ومنه قوله تعالى): (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ))[١٤].

إذ كان النمط التركيبي لـ (هل) في النص المبارك كما يلي:

هل + أم المنقطعة

↓

هل + جملة الاستفهام

↓

أم + جملة الاستفهام

↓

هل يستوي الأعمى والبصير

أم هل تستوي الظلمات والنور

↓

أم جعلوا لله شركاء

لقد أدّى الاستفهام بـــ (هل) في نمطه التركيبي السابق معنى النفي مشوباً بالإنكار والتعجب والمراد لايستوي الأعمى والبصير ولاتستوي الظلمات والنور، وجاءت أم منقطعة للإضراب ومتضمّنة استفهاماً انكارياً.

المبحث الثالث: (هل) في القرآن الكريم على المستوى الدلاليّ:

١- الدلالة الوضعيّة:

يغلب على الاستفهام بـــ (هل) في القرآن الكريم أن ينزاح عن الدلالة الوضعية لتحقيق أغراض بلاغية مجازية متنوّعة بتنوع السياقات النصية ومقاصدها الدلالية، بيد أنه قد يأتي الاستفهام بـــ (هل) ليؤدّي الدلالة الوضعية للاستفهام، ومن تلك المواضع اخترنا قوله تعالى: ((قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا {الكهف/ ٦٦} قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا {الكهف/ ٦٧}))[١٥].

يسأل موسى (ع) الرجل الصالح، بيد أن هذا السؤال هو سؤال المتعلمّ للعالم لا على وجه الإلزام والترفع، فيقول: ((هل أصحبك وأرافقك على أن تعلّمني ممّا علّمك الله شيئاً أسترشد به في أمري، من علم نافع وعمل صالح، فيجيب الخضر موسى: إنك لن تقدر على صحبتي)).[١٦]

لقد أدّى الاستفهام في الآية الكريمة أعلاه معنى الاستخبار، إذ يطلب المتكلّم من المخاطب الإخبار والعلم بالشيء، بيد أن هذا المعنى يُزاد عليه شيء من التلطّف في السؤال، يجعله بمنزلة الطلب.

من المواضع التي يحمل فيها الاستفهام بـ (هل) على المعنى الوضعي نذكر أيضاً قوله تعالى: ((إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى))[١٧].

تفسير الآية الكريمة: إذ تمشي اخت موسى (عليه السلام) مستقصيةً حاله قائلة: كما يذكر النص القرآني ((هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ))[١٨] أي على امرأة ترضعه وتضمّه إليها، فقد كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت أخته ذلك قالوا نعم(فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا)، فجاءت بالأم فقبل ثديها، (وَلَا تَحْزَنَ) ويذهب عنها حزنها، (وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ) أي قتلت قبطياً فنجيّناك من غمّ القتل وكربه (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا): ((أي

اختبرناك اختباراً (فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) أي فمكثت بعد خروجك من مصر ترعى الغنم عشر سنين، (ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى) ثم جئت على القدر الذي قدرت أنك تجيء وعلى الموعد الذي وعد الله قدر أن يوحى إليه))[١٩]

إن السياق النصي للآية يجعلنا نذهب إلى القول بالمعنى الوضعي للاستفهام بـــ (هل) في الآية الكريمة؛ فأخته تسأل: هل أدلّكم على امرأة ترضعه وتضمّه، ويجيبون بالقبول فيعود بذلك إلى أمه وتقرّ عيناً، كما يحمل السؤال معنى العرض أيضاً.

٢- الانزياح الدلاليّ:

إن الغالب على الاستفهام بـ (هل) في القرآن الكريم هو خروجه عن أصل وضعه إلى مستوى بلاغي يؤدّي فيه معاني بلاغية مجازية يحدّدها السياق.

((والثابت في ميدان البلاغة أن الاستفهام يمكن أن يتوجّه إلى معنى بلاغي مجازي، يتخطّى فيه حدود المعنى اللغوي الظاهر بغرض إفادة معنى آخر)).[٢٠] يمكننا الوصول إلى تلك المعاني بوساطة القرائن وهي التي تحيلنا إلى المعنى المراد من الكلام، و منبعها هو السياق بشقيه المقالي والمقامي.[٢١]

ومن مواضع خروج (هل) عن المعنى الوضعي للاستفهام نذكر:

١- قوله تعالى: ((رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا))[٢٢].

وقع الاستفهام بهل في قوله تعالى: ((هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)): أي هل تعلم له شبيهاً ومثيلاً؛ فالسميّ هو المثيل أو الشبيه.[٢٣]

فالاستفهام في الآية أعلاه ((هل تعلم له سمّياً)) خرج عن أصل وضعه ليؤدّي معاني بلاغية مجازية بعيدة عن الاستخبار وطلب العلم بالشيء، يقودنا إليها السياق؛ فالاستفهام انكاري يعلم فيه المخاطب الجواب بيد أنه يبتغي من سؤاله أغراضًا لايطلب فيها الحصول على إجابة أو خبر، ومنها إقحام المتلقي في عملية الإقرار بعد التفكير في جواب السؤال ليقرّ بعد تأمل أن ليس ثمة مثيل ولا شبيه لله جل وعلا.

ومن المعاني التي أصابها الاستفهام هنا النفي؛ فالمراد في قوله تعالى ((هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا)): هو النفي: ليس له سميّاً. وهذا المعنى يؤكّده تفسير الآية الكريمة؛ فالمراد بقوله تعالى (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا): لاشريك له ولامثل، لاسمّي لله ولاعدل له، كل يقرّ له، ويعترف أنه خالقه، ويعرف ذلك.[٢٤]

أدّى الاستفهام بـــ (هل) في الآية الكريمة المذكورة معاني الإنكار والنفي والتقرير بعد انزياحه عن دلالته الوضعية.

٢- قوله تعالى: ((لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ))[٢٥].

وقع الاستفهام في قوله تعالى:((هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ)) والمعنى الذي خرج إليه الاستفهام هو النفي؛ فالمقصود: ليس هذا إلاّ بشر مثلكم.

كما حمل الاستفهام معنى الإنكار والتعجّب؛ فالمتكّلم وهو هنا الله عز وجل يعلم الإجابة بيد أنه ينكر على المخاطب وهو هنا الغفلة، أي غفلة الظالمين لأنفسهم ونجواهم تلك ونفي النبوة عن النبي الاكرم (صلى الله عليه واله)، وطلب فعل المستحيلات منه كي ينظروا في صحة الدعوة، ومن ثمّ يؤمنون بها فهم على شكّ دائم منها.

يؤيد صحة مانذهب إليه تفسير الذكر الحكيم إذ جاء في تفسير الطبري يقول الله تعالى: ((لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ))، ((أي غافلة لايستمعون القرآن إلاّ وهم يلعبون ولايتدبرون ولايتفكرون. ((وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا)): وأسرّ أولئك الذي دنت الساعة منهم وهم في غفلة فيما بينهم: هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله إلاّ بشر مثلكم على صورتكم وخلقكم ((أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ)): فقال بعضهم لبعض: أتقبلون السحر وتصدّقون به وأنتم تعرفون أنه سحر ويقصدون القرآن الكريم، كما أنهم اتهمّوا النبي (صلى الله عليه واله) أنه ساحر))[٢٦]

أفاد الاستفهام بهل هنا معنى الإنكار والتعجّب والنفي.

٣- قوله عز من قائل: ((وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))[٢٧].

خرج الاستفهام في الخطاب المقدس:((هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) إلى معان بلاغية مجازية يقودنا إليها السياق بعد تتبّع القرائن، والسؤال هنا قبل كل شيء هو سؤال العارف، فأدّى معنى الإنكار.

((والإنكار صبّ في صيغة الاستخبار، فالمتكّم لا يستفهم بقصد طلب الإجابة، فهو عارف بكل شيء، بل يتغيّا جملة مقاصد أخرى يحقّقها الإنكار في صيغة الاستخبار ولعل أهمّها: " تنبيه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع.. فإذا روجع فيه تنبّه، وعرف الخطأ، وإمّا

لأنه جوّز وجود أمر لا يوجد مثله"))[٢٨].

((والمراد بإنكار العلم ونفيه إنكار المعلوم ونفيه وذلك على أبلغ وجه مؤكّد)).[٢٩]

كما حمل الاستفهام معنى النفي؛ فالاستفهام يعطي معنى نفي الفعل عن الله سبحانه وتعالى فهو جلّ وعلا لا يجزيهم إلاّ ما كانوا يعملون ((هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)): أي لا يجزون إلاّ ما كانوا يعملون.

كما يفيد الاستفهام بـــ (هل) في الآية أعلاه أيضاً معنى آخر هو التقرير؛ فالاستفهام بهل أراد إشراك المتلقّي في السؤال والتفكّر في جوابه الذي يحمله إلى الإقرار بأن الله تعالى لايجزيهم إلاّ ماكانوا يعملون.

٤- قوله تعالى: ((هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ))[٣٠]

وقع الاستفهام بـــ (هل) في قول الباري: ((هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ))، والمراد بقوله تعالى كما جاء في تفسير الطبري: ((يقول جلّ وعلا هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام إلاّ أن تأتيهم الملائكة بالموت أو يأتيهم ربك يوم القيامة أو يأتيهم بعض آيات ربك والمقصود طلوع الشمس من مغربها))[٣١]

انزاح الاستفهام بهل في الآية الكريمة إلى مستوى بلاغي أفاد معه معاني متعدّدة منها الإنكار إذ ينكر الله عز وجل على أولئك سلوكهم وما سيجرّه عليهم من وبال ونقمة، و ينهي الخطاب إلى التهديد والوعيد الذي يقوّي معناه قوله تعالى ((قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ)) الأمر الذي يضاعف طاقة الاستفهام الإيحائية، ويرسّخ معنى التهديد والوعيد في ذهن المتلقي.

٥- قول الله تعالى: ((وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا))[٣٢]

أفاد الاستفهام في قوله تعالى ((هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا)) معنى النفي والمراد لا تحسّ منهم من أحد ولا تسمع لهم.

كما أفاد الاستفهام بهل هنا معنى التهديد والوعيد الذي يشي به السياق ليدفع بالمخاطب إلى العدول عن أنماط سلوكية معيّنة وتبنّي أخرى بعد التأمّل في مصير السابقين والاتعاظ بهم.

٦- قوله تعالى: ((فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى))[٣٣]

يخرج الاستفهام في قول الباري: ((هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى)) إلى معنى العرض، والتزيين، والإغراء؛ فسؤال إبليس لآدم (عليه السلام) ليس سؤالاً بغرض الاستخبار بل يحمل في طياته الإغراء، والتزيين، والحضّ على فعل بعينه، إلى جانب عرض خدمته التي ستنتهي بآدم (عليه السلام) إلى معصية الله وهي غاية إبليس.

((إن طبيعة اللغة تتيح للمتلقّي أن يؤسّس دلالات لها تمتدّ خارج ثغور الواقع، وذلك ضمن سياقات نصية معيّنة تتفعل فيها وتتفاعل مستويات بلاغية لغوية جمالية في آن معاً، تتموضع خلف حدود القواعد، والغايات المباشرة))[٣٤]

في الواقع لم يكن انزياح الاستفهام بهل عن أصل الوضع نافلة ولا عبثاً ولا حشواً، بل جاء هذا الانزياح مثقلاً بوظائف متنوّعة تعبيرية وإيحائية ودلالية تجعل منه بؤرة دلالية تنضح بالطاقات والإيحاء، تتوالد حولها حقول الدلالة، وتمتدّ ثغور الاستفهام خارج حدوده الوضعية المألوفة ليضمّ إليه معاني ودلالات تحيا فيه حيوات جديدة.

خاتمة:

في ضوء ماسبق توصّل البحث إلى نتائج نلخّصها بالآتي:

١- وردت هل في كلام الله ثلاثا وتسعين مرة.

٢- إنّ دلالة الاستفهام في أصل الوضع تفيد طلب العلم بالشيء والاستخبار، غير أن الاستفهام عامة ومنه الاستفهام بـــ (هل) قد يخرج عن أصل وضعه ليؤدّي أغراضاً بلاغية أو مجازية تفهم من السياق، ويحدّدها المتكلم قبلاً؛ فيجري الاستفهام عن شيء مع العلم به، لإصابة تلك الغايات والمقاصد الدلالية على تنوّعها بتنوّع السياقات النصية، ولعل أهمّ المعاني البلاغية التي يؤدّيها الاستفهام: عدم الثبوت، والرفض، والتوبيخ، والتعظيم، والتحقير، والأمر، والاستبطاء، والتمنّي...

٣- تفيد هل إضافة إلى معنى الاستفهام معنى قد.

٤- تفيد (هل) إضافة إلى معنى الاستفهام ومعنى (قد) معنى النفي.

٥- كثيراً ما جاءت (هل) في القرآن الكريم في تركيب يصهرها مع الجملة الاسمية لأداء

معنى هو بلاغي مجازي في أغلب الأحيان.

٦- أدّى الاستفهام بـــ (هل) في نمطه التركيبي الذي ظهر مع الجملة الفعلية معاني بلاغية مجازية انزاحت به بعيداً عن المعنى الوضعي للاستفهام، ولأن الفعل المضارع يفيد معنى الحركية والاستمرارية منح التركيب معنى الدوام والاستمرارية والحركية؛ والامتداد باتجاه المستقبل.

٧- لقد أدّى الاستفهام بـــ (هل) في نمطه التركيبي مع أم معان مجازية منها النفي مشوباً بالإنكار، وجاءت أم بعدها منقطعة للإضراب ومتضمّنة استفهاماً انكارياً.

٨- إن الغالب على الاستفهام بـ (هل)في القرآن الكريم هو خروجه عن أصل وضعه إلى مستوى بلاغي يؤدّي فيه معاني بلاغية مجازية يحدّدها السياق.

٩- يغلب على الاستفهام بـــ (هل) في القرآن الكريم أن ينزاح عن الدلالة الوضعية لتحقيق أغراض بلاغية مجازية متنوّعة بتنوّع السياقات النصية ومقاصدها الدلالية، بيد أنه قد يأتي الاستفهام بـــ (هل) ليؤدّي الدلالة الوضعية للاستفهام وهي طلب العلم بالشيء والاستخبار.

١٠- انزاح الاستفهام بـــ (هل) في الآية الكريمة إلى مستوى بلاغي أفاد معه معاني متعدّدة منها: الإنكار والتهديد والوعيد، والنفي، والعرض، والتزيين، والإغراء، والحض.

١١- ويمكن للمتلقي القبض على تلك المعاني أو الأغراض البلاغية التي يؤدّيها الاستفهام في سياقات نصية معينة، بمساعدة قرائن مقالية ومقامية، تقوده إلى الدلالة المقصودة التي يريدها المتكلم عبر انزياح الاستفهام عن أصل وضعه.

١٢- في الواقع لم يكن انزياح الاستفهام بهل عن أصل الوضع نافلة ولا عبثاً ولاحشواً، بل جاء هذا الانزياح مثقلاً بوظائف متنوّعة تعبيرية، وإيحائية، ودلالية تجعل منه بؤرة دلالية تنضح بالطاقات والإيحاء، تتوالد حولها حقول الدلالة، وتمتدّ ثغور الاستفهام خارج حدوده الوضعية المألوفة ليضمّ إليه معاني ودلالات تحيا فيه حيوات جديدة.

الهوامش:

١- دلائل الإعجاز،عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة،ص١٤٠.

٢- ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، دار التراث العربي، الكويت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠، ج٤، ص ٣٢٤.

٣- ينظر رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد المالقي، دار القلم، دمشق، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ٤٦٩.

٤- سورة الإنسان: ١.

٥- تفسير الكشاف، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩، ج٦، ص ٢٧٤.

٦- معاني النحو، فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م،ج٤،ص ٢٤٣.

٧- المبسّط في علوم البلاغة، محمد طاهر اللادقي، المكتبة العصرية،بيروت،٢٠٠٩م،ص٨٨.

٨- إبراهيم: ٢١.

٩- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين بن مسعود التفتازاني، مطبعة سنده،١٣١٠هـ، ص ٤١٤.

١٠- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأنصار الرويفعي، دار صادر- بيروت، مادة وبخ، ٨/ ٤٧٥١.

١١- الأحقاف: ٣٥.

١٢- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١،ص ٢٠.

١٣- مغني اللبيب، ابن هشام، ج١، ص ٢٨٨.

١٤- الرعد:١٣ -١٦.

١٥- الكهف:٦٦.

١٦- تفسير القرآن العظيم تفسير ابن كثير، الحافظ أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠، ٥/ ١٨٣.

١٧- طه:٤٠.

١٨- طه:٤٠.

١٩- تفسير البغوي معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية-

سليمان مسلم الحرش،دار طيبة،١٤٠٩هـ، ٥/ ٢٧٤.

٢٠- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للنشر، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠١١م، ط٥،ص٢٠٢.

٢١- ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية مصطفى حميدة، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧م، ط١،ص٨٨.

٢٢- مريم:٦٥.

٢٣- ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ج٤،ص ٢٥.

٢٤- ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ١٨/ ٢٢٦.

٢٥- الأنبياء:٣.

٢٦- تفسير الطبري، ١٨/ ٤١١.

٢٧- الأعراف: ١٤٧.

٢٨- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني،،تحقيق:علي محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، عيسى بابي الحلبي،القاهرة، د.ت،د.ط،ص١٢٠.

٢٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبو السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار المصحف- مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ٢٠١٥، ج٤، ص ٢٦٧.

٣٠- الأنعام: ١٥٨.

٣١- تفسير الطبري،١٢/ ٢٤٦.

٣٢- مريم: ٩٨.

٣٣- طه: ١٢٠.

٣٤- النقد الأدبي، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت -لبنان، ١٩٦٧م.، ط٤، ص٤٢.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم تفسير أبو السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار المصحف- مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، ٢٠١٥،

٢- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١.

٣- تفسير البغوي معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش،دار طيبة،١٤٠٩هـ.

٤- تفسير القرآن العظيم تفسير ابن كثير، الحافظ أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠.

٥- تفسير الكشاف، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩،

٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٧- دلائل الإعجاز،عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٨- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد المالقي، دار القلم، دمشق، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٩- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأنصار الرويفعي، دار صادر- بيروت.

١٠- المبسّط في علوم البلاغة، محمد طاهر اللادقي، المكتبة العصرية،بيروت،٢٠٠٩م.

١١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

١٢- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين بن مسعود التفتازاني، مطبعة سنده،١٣١٠هـ.

١٣- معاني النحو، فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، دار التراث العربي، الكويت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

١٥- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية مصطفى حميدة، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٦- النقد الأدبي، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت -لبنان، ١٩٦٧م.